ملخص

ركز هذا البحث على دراسة شروط قيام المشروع غير المنظم، بدور آلية تكيف مهمة للأسرة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع ظروف الحصار الإسرائيلي خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وتحديداً دراسة العوامل المؤثرة في إعادة إنتاج هذه المشاريع، ودراسة كيفية تأثير السمات العامة للمشروع في إعادة إنتاجه، ودراسة العلاقة المتبادلة بين العائلة والمشروع: أي كيف يستفيد المشروع غير المنظم من سمات العائلة الحاضنة؟ وكيف توظف العائلة المشروع غير المنظم في تكيفها مع ظروف الحصار الإسرائيلي؟

وجرى فحص هذه الجوانب من خلال دراسة مشاريع غير منظمة لدى 20 عائلة فلسطينية في محافظة رام الله. واختيرت هذه العائلات من خلال التعيين لأقصى حد من المتغيرات (Maximum Variety Sampling)، وشملت العينة مجموعتين متساويتين من العائلات: أنشأت الأخرى مشروعها غير المنظم الرئيسي كنواة لمشروع استثماري، وأنشأت الأخرى مشروعها الرئيسي بهدف التخفيف من فقرها. وروعي، في اختيار العينة، تنوع هذه العائلات من حيث تركيبتها العمرية والنوعية، ومكان سكنها، وتنوع مشاريعها. وجرى جمع البيانات من الميدان، من خلال مقابلات الباحث مع أفراد مختلفين من العائلات المبحوثة، خلال الفترة الواقعة بين تشرين الثاني 2001 وكانون الأول 2002.

وقد بين سلوك المشاريع المبحوثة، خلال الانتفاضة، وجود مؤشرات مهمة على تأثير مجموعتين من العوامل في إعادة إنتاج هذه المشاريع: عوامل داخلية مرتبطة بسمات المشاريع غير المنظمة، وعوامل خارجية مرتبطة بالبيئة العامة التي تنشط فيها هذه المشاريع.

وتمثلت العوامل الداخلية في: الهدف من إنشاء المشروع، وحجمه، ونوعه، ودرجة ارتباطه بالقطاع المنظم، أو بالسوق. وتمثلت العوامل الخارجية، بشكل خاص، في سمات العائلة الحاضنة للمشروع وتركيبتها النوعية والعمرية، وفي ظروف عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي. وبينت المشاريع المبحوثة درجة كبيرة من التشابك بين المشروع غير المنظم والعائلة الحاضنة له، وتحكم تركيب الأسرة وطبيعة مواردها في خياراتها تجاه المشروع، وبخاصة مع وجود محددات ثقافية واجتماعية للأنشطة التي يمكن أن يزاولها كل من الجنسين، وأين يمكنهم مزاولتها. كما تبين تأثر إعادة إنتاج المشروع، وشروط استخدامه الوظيفي من قبل العائلة، بكثافة العلاقات القرابية والثانوية للعائلة.

وأبرز سلوك المشاريع المبحوثة خلال انتفاضة الأقصى دور القطاع غير المنظم كإسفنجة امتصاص للعمالة الفائضة، وآلية تكيف تلجأ لها الأسرة للتخفيف من فقرها؛ الطارئ والمؤقت، أو الدائم والبنيوي، أو بوصفها آلية لزيادة الدخل من خلال البحث عن عمل إضافي. وأبرز التأثير السلبي للحصار الإسرائيلي على قطاع المنشآت والأعمال الصغيرة، بصورة عامة، قوة البيئة العامة في الحد من الدور الريادي لهذا القطاع، بوصفه قطاعاً ديناميكياً قادراً على إضفاء درجة من الديناميكية على الاقتصاد المحلي.

وبصورة عامة، أعطى سلوك المشاريع المبحوثة، خلال الانتفاضة، مؤشرات مهمة على الدور المهم للعوامل الخارجية، في إعادة إنتاج المشروع غير المنظم، وقدرتها على الحد من فاعليته في بعض الجوانب المهمة. وقد برز فاعلية دور هذه العوامل في الحد من دور المشاريع الاقتصادية غير المنظمة كحاضنة للأفكار الاقتصادية والإدارية الإبداعية، لصالح إبراز دور هذه المشاريع في امتصاص البطالة المرتفعة، واستخدامها آلية للتخفيف من الفقر، أي تزايد أهمية الأنشطة المنزلية المدرة للدخل، وقطاع الخدمات المستقلة، وإضعاف دور قطاع المنشآت والأعمال الصغيرة.